

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَا بَعْدُ:

إِنَّهَا الَّتِي فَارَقَتِ النَّوْمَ تَأَلَّمًا، وَتَرَكَتِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَوْحَمًا، تَرَدَّدَتْ كَثِيرًا عَلَى الْعِيَادَاتِ، وَالتَّهَمَّتْ عِدَّةَ عِلَاجَاتٍ، وَعِنْدَ الْوِلَادَةِ صَحِبَتْهَا زَفَرَاتٌ، وَبَيْنَمَا هِيَ مَتَشَوِّقَةٌ مَتَشَوِّفَةٌ لِرُؤْيَةِ جَنِينِهَا إِذْ بَهَا تُصَابُ بِمَصَابٍ جَلَلٍ، فَقَدْ سَبَقَ قَدْرُ اللَّهِ، وَنَفَذَ قِضَاؤُهُ، بَأَنْ يَسْقُطَ جَنِينُهَا قَبْلَ أَوَانِهِ، فَيَمُوتَ فِي بَطْنِهَا، أَوْ يَعِيشَ بَرَهَةً ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ بَوَفَاتِهِ. فَيَالَهُ مِنْ مَصَابٍ مُؤَلِّمٍ مَحْزِنٍ عَلَى الْأَبْوِينِ! وَلِعَظِيمِ هَذَا الْمَصَابِ، فَقَدْ تَفَضَّلَ سُبْحَانَهُ، فَأَكْرَمَ وَالِدِي هَذَا الطِّفْلِ أَوْ السَّقُطِ، بَأَنْ جَازَاهُمَا جِزَاءً جَزِيلًا، وَعَوَضَهُمَا عَوَضًا مَفْرَحًا جَدًّا. فَيَا مَنْ أُصِيبَ بِمَوْلُودٍ كَانَ يَتَرَقَّبُهُ، وَلَكِنْ قَضَى الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ بِمَوْتِهِ: خِذْ هَذِهِ الْقِصَّةَ الْمَفْرَحَةَ:

كَانَ رَجُلٌ يَأْتِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ.. فَفَقَدَهُ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ! فَعَزَّاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِلًا: أَمَا تُحِبُّ أَلَّا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: بَلْ لِكُلِّكُمْ. صححه ابن عبد البر وابن حجر، وحسنه النووي^(١).

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ

اللَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَدِيثِ تَطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: نَعَمْ! صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا [أَي بَطْرَفِهِ] فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يَدْخُلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ^(١).

الدَّعَامِيصُ كَأَنَّاتٌ صَغِيرَةٌ لَا تُفَارِقُ الْمَاءَ، أَيَّ أَنْ هَذَا الصَّغِيرَ لَا يُفَارِقُ الْجَنَّةَ^(٢). بَلْ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ السَّقَطُ لَيَجْرُأُ مَهْ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ^(٣). والاحتسابُ معناه أَنْ يَحْسَبَ مَصَابَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ^(٤).

فِي أَيُّهَا الْأَبْوَانِ الْمَكْلُومَانِ بِفَقْدِ مَوْلُودِهِمَا: احْتِسَابًا أَنْ فَرَطَكُمَا يَنْتَظِرُ كَمَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ الْآنَ فِي كِفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رُؤْيَا عَجِيبَةً، وَرَأَى فِي الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَحَوْلَهُ وَلِدَانُ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ الْحِنْتِ. قَالَ: وَأَمَّا الْوَلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ^(٥).

أَيْتُهَا الْأُمُّ الشَّكْلَى بِمَوْتِ وَلَدٍ وَاحِدٍ: أَبْشُرِي بِمَوْعِدِ اللَّهِ، وَبِالْعَوْضِ الْعَظِيمِ مِنَ اللَّهِ. فِي الصَّحِيحَيْنِ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ. قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ. زَادَ أَحْمَدُ: [قَالُوا: أَوْ وَاحِدٌ؟ قَالَ: أَوْ وَاحِدٌ]^(٦).

(١) صحيح مسلم (٢٦٣٥)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/١٨٢)

(٣) صحيح البخاري (١٠١) وصحيح مسلم (٢٦٣٣) وما بين المعقوفتين من مسند أحمد ط الرسالة (٢٢٠٩٠). وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٥٧/٣)

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/١١٥)

(٥) صحيح البخاري (٩٠٤٧)

(٦) صحيح البخاري (٢٢٤٩) وصحيح مسلم (٢٦٣٣) وما بين المعقوفتين من مسند أحمد ط الرسالة (٢٢٠٩٠). وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٥٧/٣).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: بِمَوْتِ الطِّفْلِ رَبَّمَا يَلْعَبُ الشَّيْطَانُ بِإِيْمَانِ بَعْضِ الآبَاءِ
وَالْأُمَّهَاتِ، فَيَنْزَعِعُونَ، وَيَجْزَعُونَ، وَمَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ رَأَى أَنْ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ
حِكْمًا. وَمِنَ الْحِكْمِ: أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ مُحْذُورًا أَبَدًا، فَلَا يَأْمَنُهُ الْكَبِيرُ.
وَمِنْهَا: أَنْ بَعْضَ الْوَالِدِ لَوْ بَقِيَ لَأَرْهَقَ أَبُوَيْهِ طَغْيَانًا وَكُفْرًا، فَيَقْبِضُهُ اللَّهُ
حِكْمَةً وَلُطْفًا بِهِمَا. وَمِنَ الْحِكْمِ: أَنْ عَمَلَ الْوَالِدَيْنِ قَدْ يَقْصُرُ عَنِ الدَّرَجَاتِ
الْعُلَى فِي الْجَنَّةِ، فَيَبْلُغُهُمَا اللَّهُ -تَعَالَى- بِمَوْتِ طِفْلِهِمَا، وَيَقْلِبُهُ لِهَمَّا أَجْرًا
وَعَوْضًا. وَمَنْ أَرَادَ الْعَوْضَ فِي مُصِيبَتِهِ فَلْيَقُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} اللَّهُمَّ أَجْرِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ
اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا^(١).

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُعْطِينَا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى هَادِينَا، أَمَا بَعْدُ: فَقَدْ بَقِيَتْ
مَسْأَلَتَانِ تَتَعَلَّقَانِ بِمَوْتِ السَّقِطِ أَوْ الطِّفْلِ:
الأولى: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: الطِّفْلُ أَوْ السَّقِطُ يُصَلَّى
عَلَيْهِ، وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ. صححه الترمذي^(٢).

فليس هناك دعاء خاص للصلاة على جنازة الطفل أو السقط، لكن
يؤثر عن السلف قولهم: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ ذُخْرًا لِوَالِدَيْهِ، وَفَرَطًا، وَأَجْرًا، وَشَفِيعًا
مُجَابًّا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَعْظِمْ بِهِ أَجُورَهُمَا، وَأَلْحِقْهُ بِصَالِحِ سَلْفِ

(١) الإصحاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (١٠٣/٦). والحديث في صحيح مسلم (٩١٨)

(٢) سنن أبي داود (٣١٨٢) وسنن الترمذي (١٠٣١)

المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم^(١).

الأخرى: ألا نزهد بحضور جنازة الفرط والطفل، فالقيراطان لم يفرق فيهما بين صغير وكبير^(٢). فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان. مثل الجبلين العظيمين [أصغرهما مثل أحد]^(٣). فلنتفكر في وزن جبل أحد الذي قدره بخمسة وأربعين مليار طن. هل تخيلت الرقم؟! هل استشعرت قدر الحسنات؟! ومع عظم هذا الأجر؛ فإنك تجد بعضنا زاهداً به. فاللهم ارحمنا ولا تحرمنا. اللهم ارزقنا الاستعداد قبل الموت.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولمن سبقنا إلى الدار الآخرة من أحبائنا وأهلينا. اللهم ارزقنا لقيا من نحب بالفرطوس.

اللهم اجعل خيراً أعمالنا وأواخرها، وخيراً أيامنا يوم نلتقائك.

اللهم لك الحمد على الأمن والإيمان، وعلى إمداد الأعمال والأعمار، والإغداق بالأرزاق وبالغيث الدفاق.

اللهم احفظ علينا ديننا وجنودنا وحدودنا وثمراتنا وثرواتنا. واحفظ أرضنا وسماواتنا، وادحر أعدائنا، وانصر إخواننا بأكناف بيت المقدس، واخذل إخوان القردة والخنازير.

اللهم أيد بالحق إمامنا وولي عهده، اللهم ارزقهم بطانة الصلاح والصلاح.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد.

(١) انظر: الحاوي الكبير (٥٧/٣) والإرشاد إلى سبيل الرشاد (ص: ١٢٣) والمغني لابن قدامة (٢/٣٦٥)

(٢) البيان والتحصيل (٢/٢٣٧).

(٣) صحيح البخاري (٢٣٢٥) وصحيح مسلم (٩٤٥).